الفصل الخامس

الإسلام لم ينتشر بالعنف و لم يجبر أتباعه .

تروج تهمة هذه الأيام مفادها أن الإسلام انتشر بالسيف وهو يحبذ العنف والتعامل به ! هذه شبهة من أكثر الشبه انتشارًا ، ولا بد من الرّدِّ عليها لرفع كل لبس حول هذا الموضوع ، يقول الله تعالى مذكّراً نبيه محمداً ﷺ بالهدف الأسمى من رسالته : ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء:١٠٧] .

إن التوصيف القرآني لحقيقة الرسالة الإسلامية أنها تتميّز بالشمولية فلا تراوح المكان ولا الزمان . تتناول الأجيال دون خصوصية لجيل على آخر . و تعرّج على الحالات كلها لتغطّي حالة السلم كما تغطي حالة الحرب . إنه البيان القرآني بإطاره الواسع الكبير ، الذي يعتبر البشر جميعا عبيدا لله ﷻ بغض النظر عن العقائد والأديان ، ومن ثم فالرحمة للعالمين تتجلى في مواقف صاحب الرسالة الخاتمة ، وقائد المؤمنين الأكرم ، وأستاذ البشرية الأكبر تجاه الإنسان والكون والحياة .

ومصطلح «الجهاد» فى الإسلام هو عنوان النظام الدفاعي الذي أسّس له القرآن الكريم وبيّنت تطبيقاته السنة النبوية . فهو إذن يشمل جهاد النفس إلى جانب المقاومة المشروعة قياسا بالمنطق البشري السليم ، ناهيك عن المنطق الرباني الذي شرّعها لأهداف سامية ، وغايات نبيلة ، بأسلوب نظيف ، وشروط واضحة ، وضوابط دقيقة ، تجعل من إيقافها امتحانا للمؤمنين لأنه يصعب على الناس العاديين إيقاف الحرب وهم سكارى بنشوة النصر ، في الوقت الذي تصبح طريقة إنهائها ، وميكانيزمات التعامل مع الأعداء المتساقطين تحت سنابك الخيل

بين أيدي المقاتلين وحدهم ، وعندها توقف تلك الحرب نظرا للآثار النّاجمة عنها .

فالدارس لأبواب فقه «الجهاد» يجد أن هذا الأمر واضح تمام الوضوح فى جانبه النظري والعملي فى دين الإسلام ، وإن كان ليس بنفس الوضوح عند فئة قليلة من المسلمين . فالمتبادر إلى الذهن أن عملية الجهاد نزهة يقوم بها المؤمنون متى شاؤوا ، ولكن الأمر ليس كذلك ، فكل شيء في الإسلام بقدر ، ولا يعزب عن حكم الله فيه شيء أبدا .

وعلى العكس من ذلك وبالرغم من الوضوح الشديد لهذه الحقيقة ، وبغض النظر عن سوء التطبيق للنظام الجهادي في الإسلام لدى بعض المسلمين عموما والقادة العلمانيين الحاكمين في بلاد الإسلام خصوصا ، فإنّ التعصّب والتجاهل الغربي لحقيقة الدين الإسلامى الحنيف ، والإصرار على جعله طرفاً فى الصراع بل هدفا له ، أحدث لبساً شديداً فى هذا المفهوم لدى المسلمين أنفسهم ، حتى شاع أن الإسلام قد انتشر بالسيف ، وأنه يدعو إلى الحرب وإلى العنف ، ومن ثم فهو دين شرّير والمسلمون أشرار ، كما جاء على لسان أحد رجال الدين الأمريكان وهو يتهيأ الآن للدخول إلى العراق في ظل الاحتلال الأنجلو أمريكي للتبشير وتحويل العراقيين عن دينهم[١] .

والقرآن باعتبار أنه وحي إلهي يتخطى الزمن ويسبق القافلة المؤمنة فياتيها بمعالم حقيقة ما يدبّره أولئك الذين يحاربونها ، فيقول الله ﷻ بصريح العبارة ،

---

(١) « غاري باور » رئيس مجموعة القيم الأميركية التي تدير عدة كنائس بروتستانتية متنفذة وقوية، وقد كان باور أحد مستشاري الرئيس الأميركي الأسبق دونالد ريغان ، ويرأس أحد أهم اللوبيات وأكثرها نفوذا في السياسة الأميركية، وهو لوبي حماية الأسر العاملة .

واصفا تلك الأقاويل بالتلبيس على الحق والكتمان له من أجل أن يشيع الباطل في الناس : ﴿ لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [آل عمران:٧١] .

إنه الإصرار والتصميم على الفساد والإفساد في الأرض بكتمان الحقيقة عن الناس ، ما جعل الملايين من سكان المعمورة يكتشفون الزيف والكذب فيخرجون في مظاهرات حاشدة تقول : لا للحرب على شعب ينتمي إلى بلد كان منبع الحضارة ، وكان السّبّاق إلى مد البشرية بالخط والكتابة ، إنه شعب حضارة الستة آلاف سنة ، شعب حضارة بلاد الرافدين .

يقول المؤرخ الفرنسى غوستاف لوبون Gustave Lebon فى كتابه « حضارة العرب » وهو يتحدث عن انتشار الإسلام فى عهد النبي ﷺ وفى عصور الفتوحات من بعده : « قد أثبت التاريخ أن الأديان لا تفرض بالقوة ، ولم ينتشر الإسلام إذن بالسيف بل انتشر بالدعوة وحدها ، وبالدعوة وحدها اعتنقته الشعوب التى قهرت العرب مؤخراً كالترك Turcs والمغول Mongoles ، وبلغ القرآن من الانتشار فى الهند ـ التى لم يكن العرب فيها غير عابرى سبيل ـ ما زاد عدد المسلمين إلى خمسين مليون نفس فيها[١] . . ولم يكن الإسلام أقل انتشاراً فى الصين التى لم يفتح العرب أى جزء منها بالسيف ، وسترى فى فصل آخر سرعة الدعوة فيها ، ويزيد عدد مسلميها على عشرين مليونا فى الوقت الحاضر»[٢] .

أما توماس كارلايل Thomas Karlil ، فيقول فى كتابه «الأبطال وعبادة البطولة» : « إن اتهام محمد بالاعتماد على السيف فى حمل الناس على الاستجابة

---

(١) يتجاوز عدد المسلمين في الهند الـ ١٥٠ مليونا الآن .

(٢) غوستاف لوبون حضارة العرب ، ص ١٢٨، ١٢٩، الهيئة المصرية للكتاب .

لدعوته سخف غير مفهوم ؛ إذ ليس مما يجوز فى الفهم أن يشهر رجل فرد سيفه ليقتل به الناس ، أو يستجيبوا له ، فإذا آمن به من يقدرون على حرب خصومهم ، فقد آمنوا به طائعين مصدقين ، وتعرضوا للحرب من غيرهم قبل أن يقدروا عليها»[١] .

لقد مكث رسول الله ﷺ ثلاثة عشر عاما بمكّةً ، يدعو إلى الله ﷻ بالحكمة والموعظة الحسنة ، وكانت النتيجة في هذه الفترة أن دخل فى الإسلام خيار الناس من الأشراف وغيرهم ، وكان الفقراء من بين الداخلين في الاسلام ، ولم يكن لدى رسول الله ﷺ ثروة عظيمة يغرى بها هؤلاء الداخلين ، ولم يكن يملك أمام جبروت قريش وهوى النفس ومغريات الحياة إلا الدعوة ، التي كانت وحدها سلاحه ، وكان من أهم ما يميز المصطفى هو تمكنه من فن الكلام ، فقد كان يملك ناصية الكلمة التي تفعل سحرها عند العرب .

إن ما يدلل على صدق النبي ﷺ هو تحمّل المسلمين ، وبخاصة الفقراء والعبيد والذين لا جاه لهم ، من العذاب والبلاء ما تعجز عن تحمّله الجبال الرواسى ، فما صرفهم ذلك عن دينهم وما أثّر على عقيدتهم ، بل زادهم إيمانا بالحق ، وصمودا في وجه الظلم ، فما ارتدوا سخطاً عن الدين ، ولا نكصوا بمغريات المشركين ، وإنما ازدادوا نقاء وصفاء كالذهب الإبريز . ولا يزال التاريخ يذكر تلك الوقفة التي وقفها الرسول ﷺ أمام كبراء قريش قائلا لهم : « والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه»[٢] . إنّ الثبات على المبدأ هو الذي أثّر في أتباع الإسلام عبر العصور فكانوا

---

(١) حقائق الإسلام وأباطيل خصومه ، ص ١٦٦ ، الهيئة المصرية للكتاب .

(٢) أحمد ، كوفيين (١٨١٥٢) .

يفضلون الموت في سبيل مبادئهم على متاع الحياة الدنيا ومغرياتها .

وهنا بالضبط نقف على الجانب النظري والعملي لهذا الدين ، لنستشرف في الأول مصادر الإسلام من القرآن والحديث باعتبار أن النصّ حاكم في مثل هذه النُّظُمِ الهامة . ولنستطلع في الثاني ما حدث عبر تاريخ الإسلام من حركة عسكرية وسياسية سواء أقادها أو شارك فيها النبى ﷺ ، أو قادها أو شارك فيها الخلفاء من بعده ، بدءا بعصر النبوة وانتهاء بعصر الخلافة الراشدة . ثم نختم ببيان هذه النقاط الخمسة التى ذكرناها سابقاً .

جهاد النبي ﷺ :

الجانب النّظرى :

يعج القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة بنصوص تبين شأن نظام الجهاد فى الإسلام ، وتطلب من المجاهد فى سبيل الله ، أن يكون نبيل الطبع وصاحب أخلاق عالية ؛ حتى يستطيع أن يمتثل إلى الأوامر والنواهى الربانية التى تأمره بضبط النفس قبل المعركة ، وأثناء المعركة ، وبعد المعركة .

فقبل المعركة يجب على المجاهد أن يحرر نفسه من كل الأطماع ، وأن يتوب إلى الله ﷻ ويرد الحقوق إلى أصحابها إن كان عليه حق ، وألا يخرج مقاتلا لمصلحة شخصية أو طائفية ، أو أيّ غرض دنيوى آخر ، وأن يجعل ذلك لوجه الله ﷻ . ومعنى هذا أنه سوف يلتزم بأوامر الله ، ويستعد لإنهاء الحرب فوراً ، إذا ما فقدت الحرب مبررات استمرارها . وفي مجال ضبط النفس وعدم الانتقام من العدو عند الانتصار ، فالإسلام يؤكد على الالتزام بالمعاني العليا .

بعد القتال يجب على المجاهد أن يجاهد نفسه الجهاد الأكبر ؛ حتى لا يتحول إلى شخصٍ مؤذٍ لمجتمعه أو للآخرين . وبالرغم من أن لفظ الجهاد عند إطلاقه

ينصرف إلى معنى القتال فى سبيل الله ، إلا أن الرسول ﷺ بيّن أن المعنى الحقيقي هو الجهد المبذول من أجل الارتقاء بالنفس إلى مصاف الصلاح ؛ ولذلك فقد سماه الرسول ﷺ بالجهاد الأصغر ، وسمى الجهاد المستمر بعد القتال بالجهاد الأكبر لاستمراره وصعوبته ، بل إن الرسول ﷺ اعتبر المجاهد الحقيقي هو الشخص الذي يشتبك مع نفسه في معركة طويلة الأمد لإرغامها على الطاعة والتسليم لله تعالى فقال : « **المجاهد من جاهد نفسه** »[1] . ونعرض الآن للآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية التى تحدثت عن هذه القضية ، ثم نحاول استنباط الأهداف ، والشروط والضوابط والأساليب المتعلقة بالحرب ، والآثار المترتبة على ذلك :

القرآن الكريم : يقول الله تعالى :

١ـ ﴿ وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۚ وَلَا تُقَٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمْ فِيهِ ۖ فَإِن قَٰتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْ ۗ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة:١٩٠،١٩١] .

٢ ـ ﴿ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٢﴾ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ۖ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [البقرة:١٩٢،١٩٣].

٣ ـ ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة:٢١٦].

٤ ـ ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ

---

(١) الترمذي في الجهاد (١٥٤٦) .

وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾ [البقرة:٢١٧] .

٥ ـ ﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [آل عمران:١٤٦] .

٦ـ ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران:١٦٩] .

٧ ـ ﴿ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَأُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأُوذُوا۟ فِى سَبِيلِى وَقَٰتَلُوا۟ وَقُتِلُوا۟ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ﴾ [آل عمران:١٩٥].

٨ ـ ﴿ فَلْيُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشْرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ وَمَن يُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء:٧٤] .

٩ ـ ﴿ وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا﴾ [النساء:٧٥] .

١٠ ـ ﴿ فَإِنِ ٱعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا۟ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا﴾ [النساء:٩٠] .

١١ ـ ﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧﴾ لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ [الأنفال:٧، ٨] .

١٢ ـ ﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال:١٧] .

obeikandi.com

١٣- ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ۚ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [الأنفال:٣٩].

١٤- ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾ [الأنفال:٤٧].

١٥- ﴿ وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [الأنفال: ٦١].

١٦- ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّمَن فِىٓ أَيْدِيكُم مِّنَ ٱلْأَسْرَىٰٓ إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِى قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الأنفال:٧٠].

١٧- ﴿ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴾ [التوبة:٥، ٦].

١٨- ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ﴾ [التوبة:١١١].

١٩- ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ۝ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ﴾ [الحج:٣٩، ٤٠].

الأحاديث النبوية الشريفة:

١- عن أبى هريرة ﷺ عن النبى ﷺ قال: « **تكفّل الله لمن جاهد فى سبيله لا يخرجه من بيته إلا جهاد فى سبيله وتصديق كلمته بأن يدخله الجنة أو يرجعه إلى مسكنه الذى خرج منه مع ما نال من أجر أو غنيمة** »[(١)].

---

(١) البخاري في فرض الخمس (٢٨٩١) ومسلم في الإمارة (٣٤٨٥).

٢- عن وهب بن منبه ، قال : سألت جابراً عن شأن ثقيف إذ بايعت ، قال : اشترطت على النبى ﷺ أن لا صدقة عليها ولا جهاد ، وأنه سمع النبى ﷺ بعد ذلك يقول : « **سيتصدقون ويجاهدون إذا أسلموا** »[١] .

٣- عن سعد بن زيد بن سعد الأشهلى أنه أهدى إلى رسول ﷺ سيفاً من نجران ، فلما قدم عليه أعطاه محمد بن مسلمة ، وقال : « جاهد بهذا فى سبيل الله فإذا اختلفت أعناق الناس فاضرب به الحجر ، ثم ادخل بيتك وكن حلساً ملقى حتى تقتلك يد خاطئة أو تأتيك منية قاضية . قال الحاكم : فبهذه الأسباب وما جانسها كان اعتزال من اعتزل عن القتال مع علي ﷺ وقتال من قاتله »[٢] .

٤- عن سعيد بن جبير قال : « خرج علينا ، أو إلينا ، ابن عمر فقال رجل : كيف ترى فى قتال الفتنة؟ فقال : وهل تدرى ما الفتنة؟ كان محمد ﷺ يقاتل المشركين وكان الدخول عليهم فتنة وليس كقتالكم على الملك »[٣] .

5 ـ عن عبد الله بن عمرو ﷺ قال : جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال : إنى أريد الجهاد فقال : « **أحي والداك ؟** » قال : نعم . قال : « **ففيهما فجاهد** »[٤] .

هدف الحرب في الإسلام :

ويتضح من هذه الآيات والأحاديث أن هدف الحرب فى الإسلام يتمثل فى الآتى :

١ـ رد العدوان عن الدين والشرف والأوطان ، والدفاع عن النفس والمال .

---

(١) أبو داود في الخراج والإمارة (٢٦٣٠) .

(٢) الحاكم في مستدركه في معرفة الصحابة ، إسلام على.وابن ماجه ، في الفتن (٣٩٥٢) وأحمد في الشاميين (١٧٢٩٦) .

(٣) البخاري في التفسير ﴿ وَقَـٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ ... ﴾ (٤٢٨٤) .

(٤) البخاري في الجهاد (٢٧٨٤) .

٢- تأمين الدعوة إلى الله المتمثلة في حرية التعبير وإتاحة حرية العبادة .

٣- المطالبة بالحقوق المغتصبة والعمل على استردادها .

٤- نصرة الحق ولو كان للضعفاء ، والعدل ولو مع الأعداء والمساواة بين من تولينا مسؤوليتهم .

ويتضح لنا أيضا أن من شروط وضوابط الجهاد في الإسلام :

النبل في المعاملة والوضوح فى الوسيلة والهدف .

لا قتال إلا مع المقاتلين ولا عدوان على المدنيين .

إذا جنحوا للسلم وانتهوا عن القتال فلا مبرر لاستمراره .

المحافظة على الأسرى ومعاملتهم بما يليق بالإنسان .

المحافظة على البيئة ، ويدخل فى ذلك النهى عن قتل الحيوان لغير مصلحة وتحريق الأشجار ، وإفساد الزروع والثمار ، والمياه ، وتلويث الآبار ، وهدم البيوت ، وتجريف الأراضي .

المحافظة على الحرية الدينية لأصحاب الأديان ، واحترام أماكن الأديان ورموزها .

الآثار المترتبة على الجهاد :

يتضح لنا مما سبق أيضا أنّ نظام الجهاد فى الإسلام قد اتسم بنبل الغاية والوسيلة معا ، فلا غرو أن تكون الآثار والثمار المتولدة عن هذا الجهاد متناسقة تماما فى هذا السياق من النبل والوضوح ؛ لأن النتائج فرع عن المقدمات .

obeikandl.com

ونلخص هذه الآثار فى النقاط التالية :

- إقامة نظام دفاعي قوي لحماية الوطن وثرواته وشعبه .
- تربية الجندي على الانتظام والطاعة والتضحية والتمتع بالشهامة والنجدة والفروسية .
- الإعانة والتعاون مع قوى الخير في العالم لإزالة الطواغيت الجاثمة فوق صدور الناس ، وهو الشر الذى يؤدى إلى الإفساد فى الأرض بعد إصلاحها .
- إقرار العدل والحرية لجميع الناس مهما كانت عقائدهم .
- تقديم القضايا العامة على المصلحة الشخصية .
- تحقيق قوة ردع مناسبة لتأمين الناس فى أوطانهم .

يقول الله ﷻ فى سورة الحج : ﴿ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَـٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾ [الحج:٤٠] .

قال الإمام القرطبى عند تفسيره لهذه الآية :

﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ ﴾ أي لولا ما شرعه الله تعالى للأنبياء والمؤمنين من قتال الأعداء ، لاستولى أهل الشرك وعطلوا ما بينته أرباب الديانات من مواضع العبادات ، ولكنه دفع بأن أوجب القتال ليتفرغ أهل الدين للعبادة . فالجهاد أمر متقدم فى الأمم ، وبه صلحت الشرائع ؛ فكأنه قال : أذن فى القتال ، فليقاتل المؤمنون . ثم قوى هذا الأمر فى القتال بقوله : ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ

ٱلنَّاسَ﴾ الآية ؛ أي لولا القتال والجهاد لتُغُلِبَ على الحق فى كل أمة . فمن استبشع من النصارى والصابئين الجهاد فهو مناقض لمذهبه ؛ إذ لولا القتال لما بقى دين ولا شريعة على وجه الأرض .

وأيضاً هذه المواضع التى اتخذت قبل تحريفهم وتبديلهم وقبل نسخ تلك الملل بالإسلام إنما ذكرت لهذا المعنى ؛ أيّ لولا هذا الدفع لهُدمت فى زمن موسى الكنائس ، وفى زمن عيسى الصوامع والبيع ، وفى زمن محمد ﷺ المساجد . «لَّهُدِّمَت » من هدمت البناء أى نقضته فانهدم . قال ابن عطية : «هذا أصوب ما قيل فى تأويل الآية»[1] .

الجانب التطبيقي :

مع أننا نميل إلى فكرة أن التحضر يقوم دون حرب ، وأن الأخيرة ليست هي العلاقة الاجتماعية الحتمية ، فنحن لا ننكر أنها ظاهرة إنسانية قديمة ، فمنذ أن تشعّبت الحضارة واطّرد العمران والإنسان يصارع ويحارب من أجل البقاء ، فالاحتكاك بين البشر لابد وأن يُوَلِّد صداماً معينا ، فغريزة التملك دافعة من دوافع التشبث بما بين الأيدي ، حيث إن هذه الغريزة تحفظ له البقاء ، وعنها تتولّد غريزة الصّراع دفاعاً عن حقه فى الاستمرار والحياة في أبسط صورها .

وكلما صفت نفس الإنسان ، ورقّ طبعه ، ورهف حسّه ، كلما أصبحت حاجاته ملحّة ، وتطلّعاته طموحة ، فلا يقاتل طالباً للقوت أو دفاعاً عن نفسه فحسب ، وإنما يقاتل طلباً للحرية ورفعاً للظلم واستردادا للكرامة .

يقول ابن خلدون فى مقدمته : « اعلم أن الحروب وأنواع المقاتلة لم تزل واقعة

---

(١) القرطبي ١٢ سورة الحج ، الآية : ٤٠.

فى الخليقة منذ برأها الله ، وأصلها إرادة انتقام بعض البشر من بعض ويتعصّب لكل منها أهل عصبيّته ، فإذا تذامروا لذلك وتوافقت الطائفتان ؛ إحداهما تطلب الانتقام والأخرى تدافع ، كانت الحرب وهو أمر طبيعى فى البشر ، إما غيرة ومنافسة وإما عدوانا وإما غضبا لله ولدينه ، وإما غضبا للملك وسعيا فى تمهيده»[1] .

*****

(١) تاريخ ابن خلدون ١/ ٢٢٦ ، الحروب ومذاهب الأمم .

obeikandl.com